العدد 8 لسنة 2023
No. 8 – Feb. 2023
المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
P-ISSN 2710-0952 E- ISSN 2790-1254

النص القصصي الديني في (فيض الخاطر) لأحمد أمين

أ.د. شيماء خيري فاهم
الباحثة: مريم عبد الكريم لفلوف
كلية التربية/ جامعة القادسية

ملخص البحث:

إنّ البحث الموسوم **بـ(النص القصصي الديني في"فيض الخاطر" لأحمد أمين)** يقدّم دراسة عن القصص الدينية القرآنيّة وغيرها التي وردت في مقالات "أحمد أمين" التي جمعت في كتابه "فيض الخاطر"؛ لمعرفة ماهية توظيفه للقصّ الديني بتداخلاته النصّية مع موضوع المقال، سواء أ كان توظيفه بآلية مباشرة أو غير مباشرة "محوّرة"؛ مع بيان مقاصد النصّ المقالي وإشهار خطابه الأدبي عبر تداخل مجموعة خطابات دينية قصصيّة المنبع والأثر، وذلك في ظلّ منظومة نصّية يتشكلان فيها أدبيّاً تتمثّل في بنية المقال بأبعاده النصّية والمجتمعية والسياسية وغيرها.

كلمات مفتاحية: النص ،الديني ،القصص ،التداخل النصي ،الخاطر فيض

The religious narrative text in (Fayd al-Khater) by Ahmed Amin

Dr. shymaa khairy Fahim
Shymaa.Fahim@ qu.edu.iq
Maryam Abd AL-Karim Lafloof
University of Qadisiyah / College of Education
maarynaasr@ gmail.com

Abstract:

The research titled (The Religious Narrative Text in "Fayd Al-Khater" by Ahmed Amin) presents a study on the Qur'anic and other religious stories that were mentioned in the articles of "Ahmed Amin" that were collected in his book "Fayd Al-Khater"; To find out the nature of his use of religious storytelling with its textual overlaps with the subject of the article, whether it was employed through a direct or indirect, "modified" mechanism; With the statement of the purposes of the essay text and the publication of its literary discourse through the overlapping of a group of narrative religious discourses of source and impact, in light of a textual system in which they are literary, represented in the structure of the essay with its textual, societal, political and other dimensions.

Keywords :Text , Religious , stories , Fayd AlKhater , intertextuality

المقدمة: الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على محمد الأمين، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آلِ بيته الطيبين الطاهرين وأصحابه الغرّ الميامين، وسلم اللهم تسليماً كثيراً. **وبعد ..**

إنّ المقال جنس أدبي سردي تتوافق فيه النثرية والشعريّة من حيث إشكالية الموضوع الذي تبحث فيه وتناقشه وتعالجه على وفقِ منهجيّة بحثيّة تتسم بالحوار الفكري والأدبي والنقاش المنطقي-الفلسفي؛ فالمقال انفتحت نصّيته على أكثر الموضوعات الإنسانيّة في مختلف الاختصاصات فما عاد مقتصراً على تخصّصٍ واحد، لذا فأنّ النقاش الديني عبر سردية القصص القرآنية والتلموديّة قد اتسعت له المقالة لاسيّما ما ورد في مقالات "فيض الخاطر" لأحمد أمين؛ برؤية أدبية معاصرة بأبعادها التاريخية والدينية والفلسفية والاجتماعية وغيرها. وبناءً على ذلك جاء البحث مكوناً من مقدمة وثلاثة

محاور تركّز عليها البحث يسبقهما (**توطئة**) مهدنا فيها لمفهوم القصة الدينية وصلتها بالمقالة من حيث التوظيف والاجترار الأدبي، ثم أعقبها خاتمة لما توصل إليه البحث من نتائج. وأما المحاور، فكان **الأول**: قصة الخلق (آدم وحوّاء/ ابني آدم عليه السلام)، في حين تناولنا في **الثاني:** قصة موسى "عليه السلام"، وأما **الثالث:** فقد خصصناه للحديث عن(قصص قرآنية أخرى) تجلّت في صورها المتعدّدة أدبياً ونفسياً واجتماعياً كما في قصة(زكريا ويحيى عليهما السلام، وقصة صاحب النعاج التسع والتسعون نعجة وسؤاله إلى نعجة واحدة، وقصة نبي الله شعيب عليه السلام). وأضف لذلك فقد أرفدنا البحث بقائمة للمصادر والمراجع التي قد استفاد منها خلال رحلته في المدونة المقالية.

توطئة:

إنّ القصة الدينية تختلف في غرضها وموضوعها في التعبير القرآني عن القصة الفنيّة المطلقة؛ لأنّ التعبير القرآني له قابلية التوليف بين غرضي الدين والفنّية لاسيّما عبر سمة التصوير البديع لما يعرضه من الصور والمشاهد، **فـ**((الجمال الفنّي أداةً مقصودة للتأثير الوجداني، فيخاطب حاسّة الوجدان الدينية، بلغة الجمال الفنّية. والفنّ والدين صنوان في أعماق النفس وقرارة الحس، وإدراك الجمال الفنّي دليل استعداد لتلقّي التأثير الديني، حين يرتفع الفن إلى هذا المستوى الرفيع، وحين تصفو النفس لتلقي رسالة الجمال))[2] التي تتجلّى في التعبير التصويري القرآني، في أسلوب قصصي معجز في وحدةٍ فنيّة بديعة، بإيحاءاته التي يتضمنها القصّ القرآني؛ ممّا عدّه أدباً فنيّاً متكاملاً، التكامليّة في صورتها الفنيّة الأدبية التي تستوعب الأذواق القرُائيّة بحسب ملكاتها ومداركها[3].

والقصة الدينية لاسيّما في القرآن الكريم تمثّل ((ركيزة قوية من ركائز الدعوة الإسلاميّة القائمة على الاقناع العقلي والاطمئنان القلبي، بما تدعو إليه من الإيمان بالله، ورسله، وكتبه واليوم والآخر، وبما تحمل من مُثل في مجال الجهاد والكفاح والبذل والتضحية والفداء، في سبيل الدعوة إلى الحق، والتوجيه إلى الخير والهدى، والتنكر للباطل والضلال، والصمود في وجه الظلم والطغيان))[4]؛ إذ كان للقصص أسلوبها الفعّال، ودورها المثال في المحاججة، بوصفها منطقاً محكماً، وحجّة دامغة السبك، وبياناً معجز الإفحام؛ لقطع الجدل والمماحكة عن طريق الاستدلال والمناظرة، والتعجيز، والوعد والوعيد وغيرها من الأساليب القرآنية[5]، التي شغف بها التوجّه الأدبي وطابعه الفنّي، من حيث آليات توظيفه النصّية وخصوصيّة تطبيقاته الأدبيّة للقصة الدينيّة لاسيّما القرآنية منها.

والمقالة الأدبية بوصفها جنساً أدبيّاً في أبعادها النصّية دينيّاً وتاريخيّا ونفسيّاً واجتماعيّاً وغيرها؛ فأنّها قد انفتحت على القصّ الديني فاستوعبت هذه الجزئية من التوظيف بأساليبها النصّية وطرائقها المتعدّدة في الإيراد المتنوّع التشكيل؛ لغاية تأكيديّة تارة وحجّة داعمة لموضوعاته تارة أخرى، فناسبت نصّيته مقاصد النصّ المقالي الذي يتشكّل في ظلّ تصوّره البنائي لموضوعاته الأدبيّة والاجتماعية.

إذ تمثّل التوظيف للقص الديني-بعد الاستقراء*- في مقالات "**فَيض الخَاطِر**" بطريقةٍ مائزة من حيث التنوّع في الاشتغال النصّي الذي اكسبها قيمة نصّية عُليا لأبنيتها ضمن البنية الكبرى للنصّ المقالي ومضمونه العام، وبوصفها نسقاً منظمّاً للأنظمة العلاماتيّة للنصّ ونصّيته، ذاك أنّ((البنية العليا هي نوع من المخطط المجرد الذي يحدد النظام الكلّي لنصّ ما، وتتكون من مجموعة من المقولات التي ترتكز إمكاناتها التأليفيّة على قواعد عرفيّة))[6]. وسواء أ كان التوظيف بآلية مباشرة أم غير مباشرة "محوّرة" أم إشارات موجزة للقصة كما في النصّ القرآني ممّا شكّل حجّة أدبيّة ودليلاً قرآنيّاً واضح الدلالة لبيان مقاصد النصّ المقالي وإشهار خطابه الأدبي عبر تداخل مجموعة خطابات دينية قصصيّة المنبع والأثر، وذلك في ظلّ منظومة نصّية يتشكلان فيها أدبيّاً. وهذا ما سنبيّنه في القصص القرآنية وغيرها بإيحائيتها النصّية والإشارية الواردة في عرض مقالات "فيض الخَاطِر".

أولاً : قصة الخلق (آدم وحوّاء/ ابني آدم عليه السلام):

يُشير الكاتب "أحمد أمين" بتقنياته النصّية الإشاريّة إلى إعادة كتابة قصّة الخلق لنبي الله آدم"عليه السلام"، ونزاع ابنيه "قابيل وهابيل" الذي كان له أثر في اشتعال فتيل الحرب إلى يومنا هذا-بحسب ما يُرى-؛ إذ يبلور لنا الكاتب نظريته النفسية المجتمعية للإنسان بأنّه محارب بطبعه لا مدني كما ذهب أرسطو لذلك في رؤيته المجتمعية للإنسان[7]؛ ففي مقالته **(الإنسان حيوان محارب)**، يقول: **((من مبدإ أنّ الخلق إلى الآن وتاريخه سلسلة حروب. نازع الملائكةُ في خلقه، وقالوا:** أ نج نح نخ نم نى ني هج هم هى هي يج يح يخ؟**[8] ثم كان خلقه وليد هذا النزاع. وحلّ في الجنّة حيث السلام والأمان، والطمأنينة والنّعيم، فلم يرضَه ذلك كله، وترك كل ما أُبيح له أنْ يأكل منه، وأكل ممّا حرّم عليه، جلباً للنزاع والخصام، فكان الخروج من الجنّة؛ ولو أحبّ السلام لأطاع، ولو أطاع ما كان قتّال، ولكنه الإنسان))[9].**

يعيد الكاتب إنتاج قصّة آدم"عليه السلام" بأسلوب منطقي وقصصي ونصّي مقتضب، حتّى انفتحت سعة الدلالة للقصة؛ فإنّ عدم إطاعته لأوامر الله"جل جلاله" أدّت به ليكتسب صفة "قتّال" وكان الإنسان، وما أدراك ما هو، إنّه خليفة الله على أرضه، الذي كان محلّ نزاعٍ وخلاف بين الربّ وملائكته بأنّ هذا الخليفة سيوقع الإفساد ويسفك الدماء؛ وذلك لأنّ الموجود السماوي المتمثّل بالملائكة خُلق جلّه للتسبيح والتقديس، وهو يختلف عن الموجود الأرضي"الإنسان" الذي يوصف بأنّه ((مادي مركّب من القوى الغضبية والشهوية[...] مركباتها في معرض الانحلال، وانتظاماتها وإصلاحاتها في مظنة الفساد ومصب البطلان، لا تتم الحياة فيها إلّا بالحياة النوعية، ولا يكمل البقاء فيها إلّا بالاجتماع والتعاون، فلا تخلو من الفساد وسفك الدماء، ففهموا من هناك أنّ الخلافة المرادة لا تقع في الأرض إلّا بكثرة من الأفراد ونظام اجتماعي بينهم يفضي بالآخرة إلى الفساد والسفك، والخلافة وهي قيام شيء مقام آخر لا تتم إلّا بكون الخليفة حاكياً للمستخلف في جميع شؤونه الوجودية وآثاره وأحكامه وتدابيره بما هو مستخلف،[...]، فملخص قولهم يعود أن جعل الخلافة إنّما هو لأجل أنْ يحكي الخليفة مستخلفه بتسبيحه بحمده وتقديسه له بوجوده، والأرضية لا تدعه يفعل ذلك بل تجرّه إلى الفساد والشرّ والغاية من هذا الجعل وهي التسبيح والتقديس))[10]. ولم يكن ما انبعث عن هذا الخلق العجيب "آدم" الذي جعله خليفة في الأرض، قد توقف عند هذه النقطة المختلف عليها من قبل سكّان السماء ألا وهم الملائكة؛ فإنّ الإنسان الذي لا يطيع ما يؤمر به، قد انخدع وبدأت تتبدى عنه صفات أخرى، بفعل الغواية المنغرسة فيه، التي استثارت من قبل الآخر "إبليس". ففي مقالة**(عالم كذّاب)** يرجع "الكذب" فيها إلى أصل وجوده السّماوي، لاسيّما عندما كذّب إبليس على "آدم وحوّاء" وخدعهما، فتفشى بنزولهما للعالم الأرضي، **إذ يقول: ((بل إنّ العالم كله كذب في كذب، وقد خرج إلى الوجودِ بكذبة كذّبها إبليس على آدم وحوّاء، إذ قال لآدم: "هل أدلّك على شجرةِ الخلد وملك لا يبلى! فأكلا منها فبدتْ لهما سوآتهما"، ثم ظهر أنّها لا هي شجرة الخلد، ولا هو ملك لا يبلى، إنّما هي شجرة الكذب، وإنّما هو الملك الفاني الزائل))[11].**

فمن القرآنية المباشرة النصّية إلى المحوّرة بفعل التحرير المُنصص ليستدمج مع النصّ المُنتج، الذي يشير فيه إلى قوله تعالى: أٱلى ما مم نر نز نم نن نى ني ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته[12]. فأنّ نصّية قصة خلق "آدم وحواء" تتشكّل بالتوالي في مقالات "فيض الخاطر"، أو بوصفهما متوالية سرديّة لأحداثها ما بين التنصيص القرآني المباشر، وغير المباشر "المحوّر"، وذاك كلّه على وفقِ سياق النصّ المقالي وآلية إنتاجه الأدبيّة لها؛ لتكون تنقلاته الضمنيّة وتوظيفاته النصيّة-الأسلوبية من((مجرد التوظيف الصوري إلى مستوى المعارضة والتناص الأسلوبي القصديين اللذين يتخذان حينئذ شكل إعادة إنتاج معنى القصة الدينية في القرآن))[13] عن طريق تقنية الخطاب وصيرورته التي تتيح للكاتب أنْ ينتج خطاباً مؤثراً عبر خطاباتٍ متعدّدة مثلما فعل "أحمد أمين" في الكيفية التي يعيد فيها إنتاج قصة الخلق ونزول" آدم وحواء"عليه السلام"إلى الأرض؛ وذلك بتقنية التداخل النصّي بآلياته وأساليبه المتنوّعة ليشكل نصّية لهذا الخطاب الديني القصصي في مقالاته.

ثم يُشير الكاتب في سياقٍ آخر من "**فيضِ الخَاطِر**" إلى الإنسان "المُقاتل" الذي يفتعل المصائب، في مقابل نقيضه "المسالم"، اللذين يتمثلان في قصّة "قابيل وهابيل" ابني آدم"عليه السلام"، التي أشار لها في مقال(**الإنسان حيوان محارب**) فقد تمثّلت واتسعت دلالتها من المنظور القرآني والكوني للحياة إلى التاريخ البشري؛ قائلاً: ((**ثم كان ما ذكر القرآن الكريم:** ﴿ٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱبۡنَيۡ ءَادَمَ بِٱلۡحَقِّ إِذۡ قَرَّبَا قُرۡبَانٗا فَتُقُبِّلَ مِنۡ أَحَدِهِمَا وَلَمۡ يُتَقَبَّلۡ مِنَ ٱلۡأٓخَرِۖ﴾[14]. **فَقُتِلَ المسالم، وبقي على الأرض المقاتل. وتاريخ الأنبياء كلّهم وخصومهم يتلخّص في كلماتٍ: دعوة، فاستنكار، فقتال، فانتصار**))[15]. إنّ الحكمة الإلهيّة بيّنة الأثر للإفصاح عن الطبع الإنساني ونفسيّته الميّالة للعنف حدّ الاقتتال لأخيها في مقابل النفس الكاتمة لغيظها بلطفٍ إلهي وخوفاً منه، إذ تتجلّى مقاصدها في قانون الأرض وغاياته في النصّ القرآني القصصي لإدراك الوعي الحياتي، فأنّ نصّيته تثبت((إنّ إرادة الأخ الظالم الباغي تقابلها إرادة الأخ الموادع المسالم.. فكما يصرّ ذاك على القتل، وارتكاب هذا الإثم الغليظ، يصرّ هذا على موقفه، فلا يمد يده بسوء، ولا يدفع يد هذا الآثم، فليفعل به ما يشاء))[16]، ألا وهو القتل، فقتل النفس جرم غليظ، ومن أكبر الكبائر كلها؛ لذا جاء الاستسلام للاعتداء الجائر بدلاً من دفاعه عن نفسه، وإنّما وقوفه موقفاً سلبياً اتّجاه فعلته، إلّا عندما تقوّلاه لفظاً "أي القتل"، والتصريح علناً بالاندفاع إلى ارتكاب هذا الجرم الشنيع في مسرح صراعهما ما بين الخير والشر، التسليم والقبول بما قسم لأحدهما، وهو ما لم تطقه هذه النفس الكريمة الرحيمة "المسالمة"، وآثرت الموت ونيل الشهادة في سبيل الوقوف عند حدود الله فيه، لا أنْ تكون ممن يعتدي على حدود الله[17].
وبهذا فقد كان لمجيء قصة "قابيل وهابيل" بدلالتها القرآنية المباشرة، لتتحقق فكرة مقالته، بأنّ الإنسان بطبعه محارباً وما المدنيّة والمسالمة إلّا هي اكتساب، فتتداخل الخطابات التاريخيّة والنبويّة التي تكوّنها، لتتأكّد نظريته في الإنسان "المسالم" الذي قتل وأخذ معه السلام، وبقي نسل "المقاتل" يتكاثر فجلب معه الحرب.

ومن العرض التاريخي لقصّة "خلق آدم وحواء عليهما السلام" في مقالاته إلى القرآنية والتفسيريّة لها، لِمَا لها من دور أدبي في توجيه سياقات نصّ المقال الضامّ لمضمونها، يأخذنا الكاتب "أحمد أمين" بعدها إلى التوجّه الصوفي الذي يقرأ القصّة بصورةٍ رمزيّة، لتكتمل لنا الرؤية النصّية التي تشكّل نصّ القصّة عبر خطابها وتداخلاته؛ وذلك في مقالة(**نزعة صوفية ومزاج رمزي**)[18] التي يقول **فيها: ((قال صاحبنا-ذو النزعة الصوفية والمزاج الصوفي- أمّا أنا فكما تعهدون، لا أرى في هذه القصص إلّا رمزاً، إنّ خلق آدم وجعله في الأرض خليفة وقول الملائكة إنّه سيفسدها ويسفك الدماء ليس إلّا رمزاً إلى أنّ عالم الحياة في الأرض قد سار سيرته كما شاء له الله، ثم حان الزمن لخلقِ نوع من المخلوقات جديد هو الإنسان الذي من طبيعته الإفساد والإصلاح وسفك الدماء وصيانتها وتقلبهُ في شؤون الحياة حسب عواطفه وعقله وقلبه، وإذ كان أرقى أنواع المخلوقات في الأرض فهو المسيطر عليها وخليفة الله فيها "وعلمه الأسماء كلّها" جعل من طبيعته الاستعداد لمعرفة الأشياء خيرها وشرها، ومنافعها ومضارها. وحواء رمز للنصف الثاني من الجنس البشري وهو الأنوثة، كما أنّ آدم رمز الذكورة في طبيعته الإنسانيّة، وقد خلقت من ضلع من أضلاعه أي أنّها جزء منه تحمل طبيعته. والأكل من الشجرة وانقلاب عيشهما الرغد إلى عيشِ الشقاء ملازم لطبيعة الإنسان، فقد كانت المخلوقات قبلهما لا تعرف خيراً ولا شراً، وليس لها ضمير يحثها على الخير ويؤنبها على الشرّ، فلما ارتقت حتى وصلت إلى الطبيعة البشرية أدركت خيراً وشراً، وتحرك فيها الضمير يحاسب ويثيب ويعاقب، واستلزم هذا الشقاء والخروج من جنّة النعيم كما قال المتنبي-ما أسعد العيش لو أنّ الفتى حجر-، ولم يكن قبل الإنسان ذنب ولا خطيئة، ثم كانا لما كان العقل وكان الضمير وكان آدم وكان الإنسان، فلمّا استعدّا لإرتكاب الذنوب وعرفا الخير والشرّ خرجا من جنّة عدن- حيث السعادة الفطرية والحياة من غير تكليف-؛ إلى الأرض التي فيها الفساد وسفك الدماء وإعمال العقل وانتباه الشعور))[19].**

ولمّا كان القرآن في سرده للقصص يتّخذ بعضاً من رموزها القديمة، إلّا أنّها((تتحوّر في السرد القرآني تحويراً ملموساً يضفي عليها معنى جديداً تماماً. وطريقة القرآن في تحوير القصص تحويراً

كليّاً أو جزئياً يبعث فيها أفكاراً جديدة المعنى، يلائم بينها وبين روح التقدّم في الزمن هي طريقة في غاية الأهمية [...]؛ فليس هدف القرآن من سرده هذه القصص مجرد العرض التاريخي، وإنما يهدف دوماً إلى تحميلها مغزى أخلاقيّاً وفلسفياً))[20]؛ لذا فإنّ النظرة الصوفية الرمزيّة للقصة لا تخرج عمّا ورد في كتب العهد القديم "التوراة والإنجيل" من التضمين الأسطوري والخرافي في أحداثها وبحسب ما يشيران لذلك، إلّا أنّ القرآن في تجديده للقصّة قد جرّدها من الطابع الجنسي وذكر الثعبان وحكاية خلق حوّاء من ضلع آدم؛ إذ كانت غايته لا تتمثل في السرد التاريخي والوصف التقريري الذي يخرجها من فنيّتها وصياغتها البديعة التراكيب، وإنّما نظر إلى أصل الإنسان الذي له القدرة على الخلافة في أرضه[21]، ليتفرّد النصّ القرآني بمصداقيّته وقدسيّته في سرد قصص الأنبياء وأقوامهم بنصّيته المباشرة والإيحائية "الرمزيّة". وليتحقق التداخل النصّي وتشكّله عبر فاعلية الخطاب القرآني الصوفي والتاريخي القصصي، ليتواشجا تحت منظومة أدبية لجنس المقالة التي اتّسعت لحواريّتهما من منظورٍ حكائي متعدد الأبعاد ضمن سيرته الذاتية الثقافية المعرفية في جانبٍ منها ذكرياته مع صديقه صاحب النزعة الصوفية والمزاج الرمزي.

بينما نجد الكاتب "أحمد أمين" في سياق آخر من فيضه، ومن الوجهة الصوفيّة كذلك، قد نظر لقصة خلق "آدم وحوّاءعليهما السلام" بطريقتها ورؤيتها الرمزيّة للكون وما فيه؛ فهم لم يقفوا–أي الصوفيين-عند ظاهر الألفاظ ومعانيها اللغويّة، وإنّما ينتقلون إلى رمزيتها ومغزاها مباشرةً، وذلك لأنّ الصوفي يرى((**أنّ لكلّ ظاهراً باطناً، وفي كلّ شيء إشارة، وفوق السطح عمقاً، ووراء القناع جمالاً فاتناً؛ ويتيه عجباً على الناس إذ فهم ولم يفهموا، وغنّى لهم ولم يطربوا، ويرى أنّ العقل حجاب يحجب النفس عن إدراك الجمال، وأنّ كشف هذا القناع إنّما هو بالذوق والإلهام، لا بالمنطق والقضايا والأحكام**))[22]. ففي مقالة **(في الحياة الروحيّة)** يضرب مثلاً بالقصة قائلاً: **((خذ لذلك-مثلاً- قصة آدم وحوّاء، إنّ خلق آدم وحواء كان مرحلة من مراحل عمل المصنع، لقد ظلّ المصنع يعمل من قديمٍ ويحسّن ما يصنع، وكان يصنع الخيط الغليظ، ثم تقدم وتقدم فصنع الخيط الدقيق، وكل ما يصنع جميل متقن، ولكنه في صنع الإنسان مبدع متفنّن، وكلّ نوع ممّا يصنع يمثّل قانوناً عالمياً ولذلك يبقى مع بقاء الأكمل. وكان الإنسان أوّل خريج للمصنع جرّب فأخطأ فاستفاد من الخطأ، وهو أول من اتصل بصاحب المصنع واتصل بجميع منتجاته، يعرف خصائصها ويسميها بأسمائها، إنّه أبى أن يعيش عيشة من قبله، وفضّل أنْ يخطئ ويرقى بخطئه على أنْ يعيش من غير خطأ ومن غير معرفة، فأكل من شجرة المعرفة، فهبط من سعادة العيش بالغريزة إلى شقاء العيش بالعقل، ولكن كان هبوطه وسيلة لسموّه، وكذلك نفهم من قصة قابيل وهابيل قتال الأخوة في الإنسانيّة، ومن قصة نوح فساد الناس وفناءهم لعدم صلاحيتهم للحياة، ونجاة من يصلح لتأسيس جيل جديد على أسس جديدة، وهكذا. تاريخ الأنبياء وكبار المصلحين الروحانيين رقي متوالٍ بالإنسانيّة**))[23].

إنّ قصة خلق "آدم وحوّاءعليهما السلام" وابنيهما" قابيل وهابيل" تشكّلت في الخطاب الصوفي والأدبي بفنيّة القصصية وترميزها، وذلك في نصٍّ مقتضب لكنّه ثري الدلالة في إيحاءاته وأبعاده التي تتمثل في الدين، والفلسفة، والتاريخ، والعلم، والمعرفة فضلاً عن بعدها الأدبي الذي أسهم في تشكّلها النصّي الذي أعطى أفقاً قرائيّاً متعدّد الأبعاد والرؤى النصّية عبر التداخل وتنوّعه؛ وذلك من زاوية التأثير الجمالي وفاعليته، إلى جانب حركيّة البنية النصّية التي من شأنها أنْ تجسّد((في الآن ذاته بنية التأثيرات "النص" وبنية التجاوب "القارئ"))[24]. فعلى الرغم من وجهات النظر التي تعدّدت حول قصة الخلق وتداخلها النصّي، وسواء تقاربت أو افترقت في صياغتها، إلّا أنّها في المضمون النصّي العام توحي بخطاب السموّ البشري ورقيّه عند هبوطه للأرض لاسيّما في تكوينه الإنساني.

ثانياً : قصة موسى "عليه السلام" :

إنّ قصّة النبي موسى"عليه السلام"من أكثر القصص القرآنيّة التي شغلت حيّزاً نصيّاً كبيراً في النصّ القرآني؛ ولأهميّتها وفرادتها أشار إليها "أحمد أمين" بصورة مباشرة مع إيجازٍ في إيراد قصّته أدبيّاً، وذلك في مقالته **(الحياة الروحية)** حين قارن بين المنهج العلمي والروحي، عن طريق البحث عن

المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
P-ISSN 2710-0952 E- ISSN 2790-1254
العدد 8 لسنة 2023
No. 8 – Feb. 2023

وسائل يدرك المرء بها مملكة الظاهر عبر "العلم" الذي يعتمد على الحواس الخمس ثم إعمال العقل في الاستنتاج المنطقي لما لاحظ، بينما مملكة الباطن تسمّى بـ**(عالم الغيب)**، لا الحواس ولا المنطق من وسائلها، وإنّما **((الرياضة النفسيّة، واختطاط خطّة غير الحواس الخمس، ومحاولة تخطّي هذه الأسوار بها، والنفوذ من خلالها لإدراك عالم المجهول؛ وهذا ما سلكه دائماً الروحانيون من الأنبياء والمتّصلين بهم، فمحمد وعيسى، وموسى، وغيرهم، لم يسلكوا سبيل العلماء في بحثهم واعتمادهم على الحواس وتجربتهم ومقارنتهم بين المواد والاستنتاج منها، إنّما راضوا نفوسهم على نحوٍ ما لينفذوا إلى عالم المجهول))**[25]. إذ يذكر قصة موسى"عليه السلام" مع العبد الصالح "الخضرعليه السلام"، التي ترمز عنده إلى التفرقة بين منهجين، أحدهما: علمي من وسائله " الملاحظة، التجربة، الاستنتاج، المنطق". والآخر المنهج الروحي الذي يكون بالرياضة النفسيّة لتتحصل مراتب العلم والمعرفة عبر ما يسمّى بـ"الوحي أو الإلهام" لإدراك الغيب. إذ يقول "أحمد أمين" فيها: **((وفي القرآن قصة ترمز إلى الفرق بين نوعي العلمين: العلم المبني على المنطق، والعلم المبني على مكاشفة الروح، وهي قصة موسى مع العبد الصالح الذي علّمه الله من لدنه علماً؛ فموسى سلك سبيل المنطق، وبناء المسببات على الأسباب الظاهرة؛ وهذا العبد الصالح لم يسلك هذا المسلك، فخرق السفينة ليس لخرقها من سببٍ ظاهر، وقتل نفساً زكيّة بغير نفس، وأقام جداراً لأهل القرية أبوا أن يضيّفوهما، وكل هذا منتقد من جانب المنطق، ولكن له ما يبرره من جانب الإلهام الروحي كما شرح في القصة))**[26].

إنّ الكاتب يُهمّش ويُشير إلى أنّ القصة هي لنبي الله موسى"عليه السلام" مع العبد الصالح"عليه السلام"، قد ذكرت في سورة "الكهف"؛ لِمَا تدلّ عليه في التصوّر المنهجي لعلمين أحدهما عقلي "منطق"، والآخر قلبي روحي في مكاشفة الغيب عبر الحواس لا التجربة والبرهنة، فكان غرض توظيف القصة هو((بيان الفارق بين الحكمة الإنسانية القريبة العاجلة، والحكمة الكونيّة البعيدة الآجلة))[27]؛ لأنّ **((الدين عماده الوحي والوصول عن طريق الروح إلى عالم الغيب بالرياضة وما إليها، والاتصال بالشعور الأنبل إلى القوة العليا، فإذا هو تخطّى الدائرة الروحية إلى الدائرة العلمية، فتعرض لقضايا العلم يشرحها ويدلل عليها، أو ينكر على العلماء بحثهم ونتائجهم، فقد تعدّى طوره))**[28]. فالقصّة القرآنيّة المحوّرة بإيجازٍ، إشارة إلى النصّ القرآني للقصّة في قوله تعالى: ٱ بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لم لى لي ما مم نر نز نم نن نى ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم له مج مح مخ مم نج نح نخ نم نه هج هم هٰ يج يح يخ يم يه ئم ئه بم به تم ته ثم لم لى لي مج مح مخ مم مى مي نج نح نخ نم نى ني هج هم هىهي يج يح يخ يم يى يي ذٰ رٰ ىٰ ٌّ ٍّ َّ ُّ ِّ ّٰ ئر ئز ئم ئن ئى ئي بر بز بمبن بى بي تر تز تم تن تى تي ثر ثز ثم ثنثى ثي فى في قى قي كا كل كم كى كي لم لى لي ما مم نر نز نم نن نى ني ىٰ ير يز يم ين يى يي ئج ئح ئخ ئم ئه بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم جح جم حج حم خج خم سج سح سخ سم صح صخ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فح فخ فمقح قم كج كح كخكل كم لج لح لخ لم له مج مح ()َّ.

إنّ القصص القرآنية لا تخلو من عِبرة وعظة، ٱّٰ عج عم غج غم فج فح فخفم قح قم كج كح كخ كل كم لج لح لخ لم له مج مح مخ مم نجَّ[30]، لاسيّما عندما تكون القصة((وسيلة من وسائل التعبير عن طريق سرد ومتابعة الآثار، والتنقيب عن أحداثٍ وقعت في الزمن الغابر نساها الناس، أو غفلوا عنها لتقدم الزمن، وفيها تماسك سردي بين أجزائها كما يجب أن تكون لها بداية ونهاية، والغاية منها لفت النظر إليها لتكون عبرة وعظة للناس[...]، لكونها من أبلغ الوسائل تأثيراً في النفوس، وأكثر قبولاً لدى جمهور المستمعين والقارئين، كما أنّها تعبير عن روح الأمم، وعقليتها، وطبيعتها))[31]. ولكنّ قصة موسى"عليه السلام" مع العبد الصالح "الخضرعليه السلام" قد اختلفت من حيث ارتباط السبب بالمسبب لاسيّما في

تقبّل العقل للأمور المنطقيّة في حصولها، وما معرفة المرء لما يحصل معه بوعي منه إلّا ليطمئن قلبه ويستدرك عقله الحكمة ممّا حدث ويحدث؛ ((فإنّ قصّة موسى والخضر لها أبعاد عجيبة أخرى: ففي القصّة يُواجهنا مشهد عجيب نرى فيه نبيّاً من أولي العزم بكلّ وعيه ومكانته في زمانه يعيش محدودية في علمه ومعرفته من بعض النواحي، وهو لذلك يذهب إلى معلمٍ "هو عالم زمانه" ليدرس ويتعلّم على يديه، ونرى أنّ المعلم يقوم بتعليمه دروساً يكون الواحد منها أعجب من الآخر))[32]. أضف لذلك أنّ الخضر"عليه السلام" في التصوّر الصوفي ينسب علمه إلى ما يعرف بـ" العلم اللّدني" الذي يختصّ به الأولياء والصالحين كلّ حسب مقدار قربه أو بعده يتحصّل عنده هذا العلم، إشارة لقوله"جلّ جلاله": ﴿ وعلّمناه مِن لدُنَّا عِلما﴾[33]؛ فالقصة في تناصّيتها الإشاريّة كشفت عن علم الأسرار الغيبيّة التي لم يكن يصل إليها النبي لنبوّته، إلّا بالتكشف الباطن للأمور، الذي تضمره الروح وتظهره عبر رياضة النفس، فضلاً عن مداومته للبحث عن بواطن الأعمال ليكون خبيراً بها وبعوالمها؛ لأنّ العبد الصالح ((الرجل العالِم كان يحيط بأبوابٍ من العلوم التي تخصّ أسرار وبواطن الأحداث، في حين أنّ موسى عليه السلام لم يكن مأموراً بمعرفة البواطن، وبالتالي لم يعرف عنها الكثير، وفي مثل هذه الموارد يحدث كثيراً أنْ يكون ظاهر الحوادث يختلف تمام الاختلاف عن باطنها، فقد يكون الظاهر قبيحاً أو غير هادف، في حين أنّ الباطن مفيد ومقدّس وهادف لأقصى غاية))[34]. وبهذا فقد أسهمت القصّة القرآنيّة الإشاريّة في تحقيق بنية التداخل النصّي وتجلّي وظيفته النصّية والأدبية والدينيّة والصوفيّة، فضلاً عن التثقيف العلمي والروحي.

وفي سياق آخر من فيضه، قد انتقل بقصّة موسى عليه السلام، من بنيتها القرآنيّة إلى تاريخيّة حضورها في التلمود وأسفاره، لكنّه لم يخرجها من التوجّه الصوفي/الروحانيّ، كما في مقالة**(في الحياة الروحية)**التي يؤكّد فيها على رياضة النّفس التي تفعل الأعاجيب وتخلق من النفس الإنسانيّة شيئاً آخر، تبدله إلى أفضل ممّا كان عليه؛ إذ يُعيد قصّة حدثت مع موسى"عليه السلام"، يعدّها من القصص الطريفة التي وردت في التلمود، **يقول في خلاصتها: ((أنّ العالِم أخذه العجب لما طلع موسى عليه بسِفْر الخروج وأعجب به أيّما إعجاب، وصار ذكر موسى على كلّ لسان، حتّى وصلت شهرته والإعجاب به إلى ملك العرب، وكان ملكاً عاقلاً حكيماً، فاستدعى أحسن رسّام عنده وأمره أن يذهب إلى موسى ويصوّره أدقّ تصوير وأحكمه، فلمّا فعل وأتى بالصورة جمع أشهر حكمائه وأعقلهم وأمرهم أن يستخرجوا من هذه الصورة ما تدلّ عليه من أخلاقٍ وعادات وميول وأن يبيّنوا له السبب فيما أودعه هذا الرجل من قوة. فحص هؤلاء الحكماء الصورة وأمعنوا في فحصها، ثم قالوا إنّ هذه الصورة لإنسان شديد القوة، متكبّر، طموع، طموح، تتملكه الرغبة في السيطرة وحب القوة، فيه كثير من الرذائل والنقائص.**

عجب الملك من ذلك وقال: كيف يصدر عمل جليل كسفر الخروج من رجل صفاته ما ذكرتم؟ فإما أنْ يكون المصوّر أخطأ في التصوير، وإما أن يكون الحكماء أخطأوا في الاستنتاج. قال المصوّر: **والله ما صوّرت إلّا ما رأيت في دقّة وأمانة.** وقال الحكماء: **والله ما ذكرنا إلّا ما تدلّ عليه الصورة في حذق وإحكام. وأراد الملك أن يتحقق مما قام من خلاف بين المصوّر والحكماء، فسافر إلى حيث يقيم، فلمّا وقع نظره على موسى رأى أن مصوّره أصاب في التصوير ورسمه في دقّة فائقة. ولمّا دخل عليه ملك العرب سلّم عليه في إعظام وخشوع، ثم ذكر له ما حدث من المصور والحكماء وما حيّره من أمرهم، فإنه كان قد ظنّ أنّ المصوّر أخطأ التصوير، لأنّه عرف في حكمائه صدق الفراسة وقوة الملاحظة ودقّة النظر، والآن وقد شاهد موسى أدرك صدق المصوِّر وخطّأ الحكماء.** قال موسى: **"كلا، إنّ كلّا من المصور والحكماء مصيب، وإنّ النقائص التي ذكرها الحكماء كانت فيّ بالطبيعة وربما كانت أوضح وأعنف مما ذكروا، ولكنّي جاهدت نفسي وهاجمت رذائلي بكلّ ما وسعني حتى أخضعتها وغلبتها، وفي هذا كل قيمتي وسر قوتي"))**[35]. شكّلت القصّة التلموديّة بنية عليا داخل المقال في إطار توظيفها لوسيلتها الاتصالية الفاعلة؛ فعلى الرغم من الاقحام النصّي السلبي في ظاهر نصّ القصّة داخل المقالة ككلٍّ، إلّا أنّ الكاتب قد نظر لها من جانبِ دلالتها الايجابيّة في تطوّر الجانب النفسي والروحي لموسى عليه السلام، فقد أظهرت القصّة أنّ المصوّر في دقّته التصويريّة

والحكماء في فراستهم قد كشفا بواطن الإنسان في وصفهما؛ إذ كان لهما وظيفتهما وأثرهما في الكشف عن باطن نفس موسى وطبعه الأصل، الصورة التي أظهرته بغير ما سمع عنه، وعمّا أتى به هذا النبيّ من الأعاجيب في ألواحه؛ ((بيد أنّ هذه القدرة الفذّة على إنتاج الغياب تقابلها قدرة فذّة مضادة على إنتاج حضورٍ مدهشٍ، متعالٍ وفريد، فالشيء ينطوي دوماً على نقضيه ويستدعيه))[36]. لذا فعندما رآه الحاكم تجلّت لنا إشارته لقوله تعالى:ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷽[37] فهو لم يكّذب مستشاري "الحاكم"، وإنّما كان هذا ممّا كبته في غياهب النفس، محاولاً أنْ يغلّب طبعه بالتطبّع عن طريق التكشّف الروحي وتهذيب النفس وكبح رذائلها التي قد تشوّه الباطن فتحجب الأسرار عنه، وقد نجح بذلك فكسب سر القوّة، محققاً قيمة معنويّة تخلّده وتُشيع ذكره.

وبذا فقد تمثّل التداخل النصّي عبر النصّ الملخّص للقصّة الدينية التلموديّة ونصّية النصوص القرآنيّة الإشارية في تعدد موضوعاتها وتنوّع مقاصدها في"فيض الخَاطِر"، التي وردت فيها قصة موسىﷺ كمضرب مثلٍ أو شاهدٍ نصّي واقعي وقدسي في جزئية من جزئيات حياته؛ وذلك عبر خطابات أدبيّة وقرآنيّة وصوفيّة وعلمية واجتماعية ونفسيّة قد اجتمعت لتشكّل جانباً من قصّة موسىﷺ"، فضلاً عن إعادة بعثه للحياة بصورة معاصرة لتفعيل الإنتاجيّة النصيّة المتخيّلة، إذ يتصوّر وبأسلوبٍ حكائي، وبتوثيق تاريخي واقعي الكيفية التي تجمعه بعيسى ومحمّد "عليهما السلام"، عبر دليلٍ يتّخذونه يطوف بهم الأصقاع التي يسكنها قومهم، كما في مقالة**(لو عاد موسى وعيسى ومحمد)**، للبحث عن أممهم واللقاء بهم، ورؤية ما صنعوه من بعدهم فيما تركوا من الدين وتعاليمه[38].

ثالثاً: قصص قرآنية أخرى:

إنّ الرابط المشترك بين القصص القرآنيّة المباشرة والمحوّرة منها، على الرغم من تفرّقها في مواضع من مقالات فيض"أحمد أمين"، إلّا أنّها تشترك في الجانب الاقتصادي للبشر، وتحقيق العدالة الاجتماعية بين الناس، أضف لذلك الوراثة والتنشئة الاجتماعية في بيئة ما، التي قد يكون لها الأثر الأكبر في الجينات الوراثية في شكل الإنسان وتشكّل طبعه وسلوكه السوي؛ لاسيّما حين يكون مُربّيه من ذات البيئة التي شكّلت أبيه لا غيرها. ففي مقالة**(المسلمون أمس واليوم)** نجده قد وظّف قصة "زكريا ويحيىﷺ" في مسألة الوراثة وما الإرث الذي سيتركه الأب لابنه المولود في حياة متأخّرة له؛ إذ يُشير الكاتب "أحمد أمين" أو يستدل على ذلك بقصّة قرآنيّة لنبيّ من أنبياء الله"ﷻ"، كاد يهلك لكنّ لطف اللهﷻ جبّار لخاطره أرحم فأعاد الحياة في نسله، فرزقه بمن يستودع عنده ما وهبه الله إيّاه من العلم والحكمة، يقول فيه: **((وبالفعل يظهر أنّ هذا الشيخ الفاني قد مات أو كاد، وأنّ الله فالق الإصباح ومخرج الحي من الميت لم يصبه بالعقم، ووهبه ما وهب زكريا**ﭐ ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ ﭞ ﭟ ﭠ ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃ ﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﮍ ﮎ ﮏ ﮐ ﮑ ﮒ ﮓ ﮔ ﮕ ﮖ ﮗ ﮘ ﮙ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﮞ ﮟ ﮠ ﮡ ﮢ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﰅ ﰆ ﰇ ﰈ ﰉ ﰊ ﰋ ﰌ ﰍ ﰎ ﰏ ﰐ ﰑ ﰒ ﰓ ﰔ ﰕ ﰖ ﰗ ﰘ ﰙ ﰚ ﰛ ﰜ ﰝ ﰞ ﰟ ﰠ ﰡ ﰢ ﰣ ﰤ ﰥ ﰦ ﰧ ﰨ ﰩ ﰪ ﰫ ﰬ ﰭ ﰮ ﰯ ﰰ ﰱ ﰲ ﰳ ﰴ ﰵ ﰶ ﰷ ﰸ ﰹ ﰺ ﰻ ﰼ ﰽ ﰾ ﰿ ﱀ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﳱ ﳲ ﳳ ﳴ ﳵ ﳶ ﳷ ﳸ ﳹ ﳺ ﳻ ﳼ ﳽ ﳾ ﳿ ﴀ ﴁ ﴂ ﴃ ﴄ ﴅ ﴆ ﴇ ﴈ ﴉ ﴊ ﴋ ﴌ ﴍ ﴎ ﴏ ﴐ ﴑ ﴒ ﴓ ﴔ ﴕ ﴖ ﴗ ﴘ ﴙ ﴚ ﴛ ﴜ ﴝ ﴞ ﴟ ﴠ ﴡ ﴢ ﴣ ﴤ ﴥ ﴦ ﴧ ﴨ ﴩ ﴪ ﴫ ﴬ ﴭ ﴮ ﴯ ﴰ ﴱ ﴲ ﴳ ﴴ ﴵ ﴶ ﴷ ﴸ ﴹ ﴺ ﴻ ﴼ ﴽ ﴾ ﴿ ﵀ ﵁ ﵂ ﵃ ﵄ ﵅ ﵆ ﵇ ﵈ ﵉ ﵊ ﵋ ﵌ ﵍ ﵎ ﵏ ﵐ ﵑ ﵒ ﵓ ﵔ ﵕ ﵖ ﵗ ﵘ ﵙ ﵚ ﵛ ﵜ ﵝ ﵞ ﵟ ﵠ ﵡ ﵢ ﵣ ﵤ ﵥ ﵦ ﵧ ﵨ ﵩ ﵪ ﵫ ﵬ ﵭ ﵮ ﵯ ﵰ ﵱ ﵲ ﵳ ﵴ ﵵ ﵶ ﵷ ﵸ ﵹ ﵺ ﵻ ﵼ ﵽ ﵾ ﵿ ﶀ ﶁ ﶂ ﶃ ﶄ ﶅ ﶆ ﶇ ﶈ ﶉ ﶊ ﶋ ﶌ ﶍ ﶎ ﶏ ﶐ ﶑ ﶒ ﶓ ﶔ ﶕ ﶖ ﶗ ﶘ ﶙ ﶚ ﶛ ﶜ ﶝ ﶞ ﶟ ﶠ ﶡ ﶢ ﶣ ﶤ ﶥ ﶦ ﶧ ﶨ ﶩ ﶪ ﶫ ﶬ ﶭ ﶮ ﶯ ﶰ ﶱ ﶲ ﶳ ﶴ ﶵ ﶶ ﶷ ﶸ ﶹ ﶺ ﶻ ﶼ ﶽ ﶾ ﶿ ﷀ ﷁ ﷂ ﷃ ﷄ ﷅ ﷆ ﷇ ﷈ ﷉ ﷊ ﷋ ﷌ ﷍ ﷎ ﷏ ﷐ ﷑ ﷒ ﷓ ﷔ ﷕ ﷖ ﷗ ﷘ ﷙ ﷚ ﷛ ﷜ ﷝ ﷞ ﷟ ﷠ ﷡ ﷢ ﷣ ﷤ ﷥ ﷦ ﷧ ﷨ ﷩ ﷪ ﷫ ﷬ ﷭ ﷮ ﷯ ﷰ ﷱ ﷲ ﷳ ﷴ ﷵ ﷶ ﷷ ﷸ ﷹ ﷺ ﷻ ﷼ ﷽ ﷾ ﷿ ﷽[39]. **ولكن إنْ ورث "يحيى" من زكريا علماً وحكمة فإنّي أخشى أنْ يرث "يحيانا" تركة قد أثقلتْ بالديون وأفعمت بالمغارم. فهل من سبيل إلى أنْ يرث من آبائه الأبعدين لا من آبائه الأقربين؟))**[40].

ولمّا كانت ولادة يحيى"ﷺ" لأبويه على كِبر من((خرق العادة فقد كان أبوه شيخاً فانياً وأمه عاقراً فرزقهما الله يحيى وهما آئسان من الولد، وأخذ بالرشد والعبادة والزهد في صغره وآتاه الله الحكم صبياً، وقد تجرّد للتنسك والزهد والانقطاع فلم يتزوج قط ولا ألهاه شيء من ملاذ الدنيا،[...]، وكان سيداً في قومه تحنّ إليه القلوب وتميل إليه النفوس ويجتمع إليه الناس فيعظهم ويدعوهم إلى التوبة ويأمرهم بالتقوى))[41]؛ فقد أدّت القرآنية المباشرة وقصصيتها الرمزيّة منهجيّة نصيّة في تحقيق الانتظام النصّي وحبكه عبر تقنيّة التداخل النصّي المحبوك بأدبيّة في المقال؛ ذاك أنّ الحبك النصّي هو((جوهر العلاقات النصيّة؛ لأنّه بمثابة العلاقة الكبرى التي تضم سائر العلاقات المعنوية داخل نصّ ما، فهو من أهم خصائص النصّ يعنى به تماسك مكوّنات الخطاب/الكلام، بحيث تتحقق علاقة

الترابط بين أبنية الخطاب وبقيّة مكوناته؛ ليكون نسيجاً واحداً،[...] تتحقق فيه علاقات الخلفيّة، والقصد والمعرفية وعلاقات مستعملي النص))[42]. فضلاً عن كونه ترابطاً معنوياً وعضوياً بين عناصر موضوع النصّ، حتى ليغدو النصّ في ((صورته النهائية نظاماً متكاملاً وبناءً متعاضداً))[43] لا تناقض في أفكاره التي تشكّل تماسكه وتُرشدنا إلى مغزاه. فقصّة "زكريا ويحيى" مثّلت استدلالاً نظريّاً في تحقيق نتيجة علميّة مُتبنّاة من قبل علماء الوراثة وما يجوّزوه في قوانينهم، بـ**((أنّ بعض الأبناء يرث من جدّه الأبعد لا من أبيه الأقرب، وإنْ كان ذلك كذلك فخير له، فإنْ أباه أشعث أغبر، لوّحته الهموم وأحنت ظهره الأحداث، أما جدّه البعيد فجميل المحيا، مشرق الجبين، صارعه الدهر، فصرع الدهر، وأرادت أنْ تنال منه الأحداث فنال منها، ولكن أنّى لنا ذلك، ومربوه من جنس أبيه، فإنْ لم تفسده الوراثة أفسدته البيئة وأفسده المربى وأفسده الموالي من ورائه يكيدون له ويضعون الخطط تلو الخطط لاغتياله، لا يكون ذلك حتّى يرزق "يحيى" بالمثل الصالح والمربّي الصالح، يفتح عينيه ليرى ما حوله، ويضع له البرامج ليعدّه أنْ يكون سيّداً مع السّادة ورأساً بجانب الرؤوس، يبني صرح المدينة مع بناته، ويشيد العالم مع مشيّديه، فإنْ كان العالم لا يسمع إلّا مدنيّة واحدة شارك فيها، وإنْ كان يسع مدنيتين فأكثر أسس هو مدنية تتفق روحه، وعقليته، ونفسيته، ودينه، وخصائصه))**[44]. إذاً فالوراثة والبيئة في حياة الإنسان خطّان متوازيان، أو متداخلان، أو متناقضان؛ فما تفسده الوراثة قد تحققه البيئة، وقد تفسد البيئة ما أنتجته ووهبته الوراثة. فـ"أحمد أمين" يدعو في خطابه المقالي من منطلق قرآني-المتمثل في قصة "يحيى عليه السلام"-، لعالم مدني سوي عبر منطقيّة الخطاب العلمي والقصصي القرآني.

بينما نجده في مقالة(**العدالة الاجتماعيّة**) قد وظّف قصة صاحب النّعاج التسع والتسعين وسؤاله إلى نعجة واحدة، التي قابلت الوضع الاقتصادي في مجتمعه وغيرها من المجتمعات؛ إذ يقول: **((ولمّا ارتقت عقول الناس وشعروا بضرورة العدالة الاجتماعية كان أوّل ما صدمهم أنْ رأوا أنّ أكبر عقبة في سبيل تحقيق العدالة هو توزيع الثروة في الأمّة، إذ رأوا أنّه توزيع غريب، فشخص يمتلك الملايين والألوف، وشخص لا يجد ما يأكل، مع أنّ الأول في كثير من الأحيان لا يعمل، والثاني يكد في العمل بنفسه وبزوجته وأولاده، ثم لا يحصل قوته وقوتهم. فمثل المجتمع والحالة هذه كمثل شخص معه ألف رغيف وأراد أنْ يوزعها فأعطى رجلاً أعزب لا أسرة له 999 رغيفاً، وأعطى أسرة مكوّنة من أب وأم وثمانية أولاد رغيفاً واحداً. أو كالمثل الذي ضربه القرآن الكريم في الخصوم الذين دخلوا على داود فقالوا: "خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحقّ ولا تشطط واهدنا إلى سواء السراط، إنّ هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال(أي صاحب التسع والتسعين لصاحب الواحدة) أكفلنيها (أي ملكّنيها) وعزّني في الخطاب (أي غلبني في الحجّة)، قال (داود) لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه، وإنّ كثيراً من الخلطاء ليبغي بعضهم على بعض"))**[45].

إنّ القصة القرآنيّة حول هذين الخصمين اللذين تسوّرا حول النبي داود"عليه السلام" في محرابه، قد عدّت من القصص التمثيليّة التي فسّرت بأنّها "فنيّة/ بيانيّة"، و((ذلك لأنّهم ربطوا بينها وبين الفن القصصي بأكثر من رباطٍ، فالمعاني والتيارات الفكرية والخلقية لا تستقر في التمثيل إلّا على النحو الذي تستقر فيه في القصّة الفنيّة))[46]؛ وبوصفها مثلاً قصصياً قد وظّفها الكاتب بتقنية القرآنية المحوّرة، لإيضاح مقاصدها للقارئ، لاسيّما لِمَا ينماز به القرآن الكريم من تفرّد بنصوصه القدسيّة، فالقصة هي إشارة إلى قوله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾[47].
فالحادثة في قصّة داود عليه السلام قد مثّلتها الآية اختباراً من الله"جل جلاله" لنبيّه عليه السلام، وذلك((في ظرف التمثل ليربيه تربية إلهيّة ويعلمه رسم القضاء العدل فلا يجور في الحكم ولا يعدل عن العدل))[48]؛ لأنّه نبيّ من أنبياء الله سبحانه جل جلاله، قد آتاه من فضله وعلّمه فصل الخطاب، وجعله خليفة في الأرض، وما امتحنه به إلّا ليثبت إيمانه وعدالته الحقّة في خصمين بغى أحدهما وتجاوز على بعض ظلماً، فقصدا

النبي داود﵇ ليحكم بينهم بالعدل، إلّا أنّه تعاطف مع صاحب النعجة الواحدة وتبع هواه من دون الاستماع إلى الآخر، ليرى وجهة طلبته وحجته القويّة التي تعزّه وتغلبه في هذا الخصام، فلربما يكون محقّاً فيما يطلبه ويقترحه، ولكنّ دواد﵇ بادر بقوله: ﴿لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه﴾، فوقع في ذنبه الذي فُتن به، فانتبه له فيما بعد، فتاب واستغفر ربّه؛ وإلّا فأنّ من الآداب المستحبة في القضاء الاستماع للطرفين بتأنٍ للمدّعي والمدّعى عليه، قبل أنْ يصدر حكمه ويتعجل فيه[49]، لذا فقد كان حكم نبي الله داود﵇ ظاهرياً من حيث الرؤية العدديّة لا لجوهر صدق المطلب من قبل صاحب الدعوّة الذي قد يكون محقّاً فيما ادّعاه. والكاتب قد عكس هذا المثل القرآني وخطاب العدالة غيرِ المتحقّق فيه، في رؤيته أنّ **((المجتمعات الحاضرة كصاحبي النعاج رجل يمتلك تسعاً وتسعين نعجة، ورجل يملك نعجة واحدة، ومع ذلك لا يريد صاحب التسع والتسعين أنْ يترك النعجة لصاحبها بل يريد أن يستولي عليها- سيدة تملك مئات الفساتين وتحتفظ بأثمن الجواهر، وامرأة لا تملك ثوباً واحداً صالحاً، ورجل يملك آلاف الأفدنة ثم يظلم الأجير في أجرته التي لا تكاد تسد رمقه، وامرأة غنيّة تطعم كلبها وتنفق عليه في مأكله وملبسه واستحمامه ما يكفي لعائلة فقيرة مكوّنة من عشرة أشخاص لا يجدون ما يأكلون، وهكذا من آلاف الأمثلة))**[50]. وهذا يدلّ على الأنويّة داخل أفراد منعمين مترفين، المتسلّطة على أفراد آخرين لا يملكون قوت يومهم أو ما يستر بدنهم، حين لا تعي الفئة المُترفة لفكرة تطبيق "العدالة الاجتماعية" أو يتجاهلونها جشعاً؛ فـ"أحمد أمين" لا يؤيد فكرة القضاء والقدر في مسألة العدالة الاجتماعية، وإنّما لابدّ من تدخّل بشري لتحقيقها وإقامة التوازن بين الأمم؛ لأنّه يرى أنّ **((الأمم المعتدلة فرضت الضرائب التصاعدية على الأغنياء حتى كادت تجعل للغني حدّاً لا يتجاوزه، فأنْ زاد عن ذلك أخذته الدولة وأنفقت منه على إصلاح حالة الفقراء حتّى يصلوا إلى مستوى لائق بالإنسانية، فأنفقت منه على التعليم المجاني وعلى خفض مستوى الأسعار وعلى بناء المساكن الصحيّة للعمال، وأعطتهم من المال المدّخر أيام بطالتهم التي لا دخل لهم فيها. وهكذا رفعت مستوى الفقير وجعلت له حدّاً لا ينزل عنه وحدّدت من غنى الغني وجعلت له حدّاً لا يتجاوزه، كل هذا طلباً لتحقيق العدالة الاجتماعيّة بالتدريج في الحدود المعقولة))**[51]. فالخطاب القرآني القصصي في نصّيته التي مثّلتها قصّة داود"﵇" قد ارتكز على آلية التساؤل في طاقاته التي ينبعث منها "العدل، الحكمة، قضاء حاجة الآخر، والاتّعاض، وعدم الانخداع بالظاهر..؛ فدلالاته الايحائية شكّلت((بعداً إيجابياً لِمَا تعكسه على النصّ من اتّساع دلالي يمنح النصّ قوة دلاليّة وفكريّة تضفي على المتلقّي ثمارها فتفتح فضاءات واسعة للتأمل والتّدبّر))[52]، إلى جانب جذب انتباه القارئ ولفت ذهنه لمدارك النصّ ومقصده، على وفقِ البنى الثقافية التي تكوّنها لتتشظى فيها مضامين اجتماعية ونفسية واقتصادية وسياسية وغيرها. فرمزيّة القصة القرآنيّة في النصّ المقالي قد مثّلت معطى إيجابياً؛ وبذلك فقد أسهم التداخل النصّي في تنوّع الخطابات النصّية لمضمون المقال العام وأبنيته الخاصّة عبر منظومة نصّية يتواشج فيها القصّ القرآني بالأدبي، وخطابهما الاقتصادي في أفقِ أبعاده المجتمعيّة.

وأمّا قصّة نبي الله شعيب"﵇" وأمّته، فقد ذكرهما ضمن مقالة(**سنن الله في الكون**)، يقول: **((ومن القوانين العامة في الأمم أنّ الظلم والبغي والفساد سبب في انحطاط الأمم وضعفها وهلاكها. بل ورد في القرآن أنّ ذلك سبب لقلة المطر وللقحط ولفساد الزراع وهلاك الحرث والنسل. ومن هذه القوانين أنّ الأمم تهلك لسيطرة أصحاب الأموال ورغبتهم أنْ يفعلوا بأموالهم ما يشاءون. وقد ضرب الله مثلاً أمة شعيب إذ كانوا يستبيحون تنمية الثروة بكل الطرق الممكنة كالتطفيف في الكيل والميزان وبخس الناس أشياءهم، فكان شعيب عليه السلام ينهاهم عن ذلك كلّه، ويوصيهم باجتناب أكل أموال الناس بالباطل وقناعتهم بالحلال. وهم يقولون: إنهم أحرار في أموالِهم يفعلون بها ما يشاءون:ﱡ ﱁ ﱂ ﱃ ﱄ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ**[53]**، فعاقبهم الله بضياع أموالهم. ولاتزال المشكلة المالية وحريّة التصرف من أعقد المشاكل الاجتماعيّة اليوم. يرى أرباب الأموال أنهم أحرار في مالهم يفعلون فيه ما يشاءون، ويرى المصلحون والأخلاقيون أنّ المال لا بدّ أنْ يخضع للأخلاق، فلا يستغل الفقير استغلالاً يضرّبه))**[54].

العدد 8 لسنة 2023
No. 8 – Feb. 2023
المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
P-ISSN 2710-0952 E- ISSN 2790-1254

إنّ قصّة نبي الله شعيب"عليه السلام" تُشير إلى قوله تعالى:ﱡﭐ ﱅ ﱆ ﱇ ﱈ ﱉ ﱊ ﱋ ﱌ ﱍ ﱎ ﱏ ﱐ ﱑ ﱒ ﱓ ﱔ ﱕ ﱖ ﱗ ﱘ ﱙ ﱚ ﱛ ﱜ ﱝ ﱞ ﱟ ﱠ ﱡ ﱢ ﱣ ﱤ ﱥ ﱦ ﱧ ﱨ ﱩ ﱪ ﱫ ﱬ ﱭ ﱮ ﱯ ﱰ ﱱ ﱲ ﱳ ﱴ ﱵ ﱶ ﱷ ﱸ ﱹ ﱺ ﱻ ﱼ ﱽ ﱾ ﱿ ﲀ ﲁ ﲂ ﲃ ﲄ ﲅ ﲆ ﲇ ﲈ ﲉ ﲊ ﲋ ﲌ ﲍ ﲎ ﲏ ﲐ ﲑ ﲒ ﲓ ﲔ ﲕ ﲖ ﲗ ﲘ ﲙ ﲚ ﲛ ﲜ ﲝ ﲞ ﲟ ﲠ ﲡ ﲢ ﲣ ﲤ ﲥ ﲦ ﲧ ﲨ ﲩ ﲪ ﲫ ﲬ ﲭ ﲮ ﲯ ﲰ ﲱ ﲲ ﲳ ﲴ ﲵ ﲶ ﲷ ﲸ ﲹ ﲺ ﲻ ﲼ ﲽ ﲾ ﲿ ﳀ ﳁ ﳂ ﳃ ﳄ ﳅ ﳆ ﳇ ﳈ ﳉ ﳊ ﳋ ﳌ ﳍ ﳎ ﳏ ﳐ ﳑ ﳒ ﳓ ﳔ ﳕ ﳖ ﳗ ﳘ ﳙ ﳚ ﳛ ﳜ ﳝ ﳞ ﳟ ﳠ ﳡ ﳢ ﳣ ﳤ ﳥ ﳦ ﳧ ﳨ ﳩ ﳪ ﳫ ﳬ ﳭ ﳮ ﳯ ﳰ ﱠ(55). فجاء توظيف القصة القرآنيّة في النصّ المقالي ما بين التحوير والتنصيص، ليبيّن عن طريقها أنّ التاريخ يُعيد نفسه وأنّ قوانين الأمم وسنن الكون واحدة، لا تتغيّر إلّا من قبل مستعمليها، ومن يسيرون عليها أو يختطّون لهم سُنناً تناسب أهواءهم ورغباتهم في السلطة والتّسلّط على الضعفاء؛ وهذا ممّا يؤدّي إلى انحطاط الأمم بسبب الفساد والظلم والبغي، الذي ينتج في مقابل ذلك قلّة المطر والقحط وفساد الزرع وهلاك الحرث والنسل.. وغير ذلك ممّا يهلك الشعوب. فالمثال القرآني في قصّة أمّة شعيب"عليه السلام" لا يختلف عن بعض الأمم في مجتمعاتنا المعاصرة على الرغم من ادّعائهم التوحيد لله"جل جلاله" والسير على سُننه، فأمّة شعيب"عليه السلام" على الرغم من دعوة نبيّهم بأسلوبٍ ودود كأيّ نبي يشفق على قومه ويريد لهم الخير، إلّا أنّهم قد تخطّوا الحدود في فسادهم وظلمهم على الرغم من عيشهم في نعيم وترف، فعبدوا الأصنام بدلاً من توحيد الله"جل جلاله" وشكره وحمد نعمه؛ وطغوا أكثر فاستباحوا أموال الناس بالباطل، وبالتطفيف في الكيل والميزان وعدم إيفاء حقوق الناس؛ فعدم عبادة اللهجل جلاله وتوحيده قد أدّى إلى فسادين مجتمعي وأخلاقي أخلّا بالموازين والمقاييس، ومن ثمّ المفاسد الاقتصادية التي أدّت إلى زوال نعمهم وأموالهم عقاباً من الربّ لتمرّدهم وبطشهم بالناس الفقراء(56)، بل وصل بهم الأمر إلى السخريّة من شعيب "عليه السلام"ممّا دعاهم له ونهاهم عنه، والتعريض له بصلاته، وإنكارهم كيفية ربط الصلاة بالمال(57). وقد وظّف الكاتب هذه القصّة لأنّها تظهر((هذه الواقعية بجلاءٍ[...] بعد الإعتقاد بالتوحيد والنظر الفكري الصحيح، ينظر إلى الإقتصاد السليم بأهميّة خاصة[...]على أنّ الإخلال بالنظام الاقتصادي سيكون أساساً للفساد الوسيع في المجتمع))(58) أخلاقياً ومجتمعياً واقتصادياً وحقوقيّاً وما إلى ذلك من المفاسد التي تهلك الأمم حين تخضع جلّها لسلطة المال متناسية المبادئ الأخرى من الأخلاق والدين والحقوق.

وبعد فقد حرّك التداخل القصصي الديني فاعلية النصّ لأنّه ((يفتح فضاء النصّ على شبكةِ أسس وأنساق متعددة، حيث تتكسّر وحدة النصّ من خلال اشتغال صيغ الاقتباسات والإحالات[...] وبهذا يتحول إلى مصدر للغموض الفنّي وانفتاح النصوص الأخرى[...]، فالنصّ الأدبي يندرج في فضاءٍ نصّي أوسع))(59)؛ لذا فإنّ بنية المقالة الأدبية عن طريق نصّيتها وتداوليتها إشهاريّاً قد اتّسعت للخطاب القصصي في صورته القرآنية والتّلموديّة، لِمَا حققه توظيف القص الديني من غاياتٍ أدبيّة ووعظيّة وإرشاديّة وتنويريّة للآخر "القارئ"، إلى جانب مقاصد نصّية فنيّة وبلاغيّة تشكيليّة، وجمالياتٍ أسلوبيّة، تمثّلت بالسرد الموجز الذي أسهم في خلق معناه وتخليق مقاصده التي تؤدّي إلى تبليغ صداه، وتحدث أثراً فاعلاً في مجتمعٍ يتلقّاه، ليؤثر في عقليته المتجذّرة وروحانيّته المتغيّرة.

نتائج البحث:

1ـ إنّ النصّ القصصي الديني بتداخلاته النصّية أسهم في بناء النصّ المقالي أولاً، وإظهار أدبيّة التوظيف ثانياً فتعددت أبعاده وتباينت مقاصده في تشكيل موضوعات المقال في ظلِّ تصوّره الديني الذي استدعى هذ الشاهد من دون الآخر، إلى جانبِ عرضه ومناقشة مضامينه بمنهجيّة منطقية مرة، وبآلية أدبية تمتزج فيها العلمية مرة أخرى. فعلى الرغم من سعة النصوص الدينية وتعدد موضوعاتها إلّا أنّه استطاع اختيار النصوص الدّالة وعرضها بسلاسة نصّية مع سعة المعنى واتّساع المقصد.

2ــ إنّ قراءة مقالات "**فَيْض الخَاطِر**" الأدبية والاجتماعية بتداخلاتها الدينية كان لها تأثيرها المجتمعي والنفسي والتاريخي إلى جانب انفتاحها على قراءات عدّة مُنذ إنتاجها إلى الآن؛ وذلك لفاعليتها النصّية القُرائيّة وثراء مضامينها في شحذِ جذوة المعرفة والتساؤل عند القارئ بوصفه مشاركاً فعّالاً في تكوينات المجتمع ومتعلقاته، وليتم إعادة إنتاج النصّ المنتقى وخطابه من قبلِ الكاتب عبر التداخل النصّي الديني، الذي مثّل تداخلاً معرفياً ثقافيّاً له أثره في إنتاج النصوص وتشابك أفكارها وتلقيّها وفكّ شفراتها.

هوامش البحث :

(1) **فيض الخاطر:** هو مجموعة مقالات أدبية وبحثية واجتماعية وسياسية وغير ذلك، نشرها الكاتب "أحمد أمين1886-1954م" خلال حياته العلمية الحافلة بالتحقيق والتدريس في المجلات والصحف المصرية والعربية بين عامي(1933-1953م) منها (الرسالة)، و(الثقافة)، و(الهلال)، و(مجمع اللغة العربية)، فجمّع المقالات وأعاد نشرها تحت عنوان "فيض الخاطر" ليمثل تجربة أدبية تُضاف للكاتب بوصفه مؤرخاً ومحققاً وبحّاثة وقاضٍ.. حتّى أنّه أغنى الثقافة العربية بمؤلفات موسوعيّة أشهرها(فجر الإسلام 1928م، ضحى الإسلام 1933م، ظهر الإسلام 1945م، يوم الإسلام 1952م) وغيرها من المؤلفات التي تمثل ثقافته الموسوعيّة وعلميته في التاريخ والأدب والاجتماع والدين، فضلاً عمّا يميّز توجّهه الأدبي كتابته لسيرته الذاتية التي نشرها بعنوان(حياتي). **ينظر للاستزادة عن الكاتب (أحمد أمين): 1-حياتي، أحمد أمين: 17 وما بعدها. 2-موسوعة أعلام العرب المبدعين في القرن العشرين، د. خليل أحمد خليل: 97/1. 3-قاموس الأدب العربي الحديث، د.حمدي السكوت: 44. 4- تفكير أحمد أمين من خلال(فيض الخاطر)، عمر الإمام، (رسالة ماجستير): 19وما بعدها. 5- الأعلام ، الزركلي: 101/1.**

(2) التصوير الفني في القرآن، السيد قطب: 143- 144.

(3) ينظر: الإعجاز القصصي في القرآن، د. سعيد عطيّة مطاوع: 35.

(4) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه (مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم، ويوسف)، عبد الكريم الخطيب: 8.

(5) ينظر: القصص القرآني في منطوقه ومفهومه (مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم، ويوسف) : 8.

*إنّ الاستقراء لمدونة "فيض الخاطر" قد كشف عند عدد ما ورد للقصص الدينية، وهي (17) نموذجاً في مواضع متفرقة من مقالاته، إذ شكلت نسبة (4,325) التي تقرأ 4% تقريباً، وذلك قياساً لموضوعات دينية أخرى قد وردت في المقالات كالقرآن الكريم والحديث وغيرها. **ينظر للاطلاع عن ما ورد من القصص الدينية في فيض الخاطر: ج64/2، 119. وج191/4-195. وج10/5. وج2/6، 4، 265. وج36/7، 44. وج34/8، 43. وج37/9. وج10/ 136.**

(6) علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، تون أ. فان دايك، تر: د. سعيد حسن بحيري: 212.

(7) ينظر: فيض الخاطر: 2/ 64.

(8) البقرة : 30.

(9) فيض الخاطر: 2/ 64.

(10) الميزان في تفسير القرآن ، للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي : 116/1- 117.

(11) فيض الخاطر: 8/ 34.

(12) طه : 120- 121.

(13) شعرية النص الروائي (قراءة تناصية في كتاب التجليات)، بشير القمري : 93.

(14) المائدة : 27-28 .

(15) فيض الخاطر : 2/ 64.

(16) القصص القرآني في منطوقه ومفهومه (مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم، ويوسف) : 221.

(17) ينظر: م. ن : 223.

(18) إنّ في مقالة**(نزعة صوفية ومزاج رمزي)** نجده لكأنّه في مجلسٍ حديثٍ لثلّة من العلماء يجتمع بهم "أحمد أمين" وقد سمعوا المقرئ يقرأ قصة آدم وخلقته من طين ثم أكله من الشجرة وخروجه من الجنة؛ وكلّ منهما قد أعطى رأيه فيها -إلّا هو فأنّه مُستمع ومتفكّر وناقل لما يروونه- من خلال قراءاته وممّا سمعه ومصادره المعرفيّة التي توجّهه في قراءتها لإبداء رأيه، فمنهم "صاحبهم في دار العلوم" المدرّس الذي لم ير تضارباً بين العلم والدين لاسيّما في القرآن وتفسير آياته المُبينات، ثم مناقشتها من منظور علمي وواقع مجتمعي من قبل الطبيب، وتوجّه إيماني عند صديقهم الأزهري فضلاً عن الصوفي وخياله البديع، فهذه المتعلقات الأخرى لها صلة وثيقة باكتمال رؤية التشكيل النصّي لـ(نص قصة الخلق) عبر تداخل مجموعة من النصوص في مقالات "أحمد أمين" تعرض لقصة آدم وحواءﷺ ونزولهما أو هبوطهما من الجنة إلى الأرض والمفاسد التي أحدثوها بنوه فيما بعد وأثرها في تطور النسل البشري وتاريخه الإنساني. سواء أ كان ذلك من وجهة نظر الطبيب أم المُفسِّر أم العالِم أم التنويري/ التاريخي أم الصوفي. **ينظر للإستزادة: فيض الخاطر: 4/191- 195. و2/119- 120.**

(19) فيض الخاطر: 4/194.

(20) تجديد الفكر الديني في الإسلام، محمد إقبال، تر: محمد يوسف عدس : 138.

(21) ينظر: م. ن : 140.

(22) فيض الخاطر، مقالة (الرمز في الأدب الصوفي): 3/ 307.

(23) م. ن : 7/ 36- 37.

(24) فعل القراءة (نظرية جمالية التجاوب في الأدب)، فولفغانغ إيزر، تر: د.حميد لحمداني ود. الجلالي الكدية : 13.

(25) فيض الخاطر: 5/ 9-10.

(26) م. ن : 5/10.

(27) التصوير الفني في القرآن : 155.

(28) فيض الخاطر : 5/12.

(29) الكهف : 65- 82.

(30) يوسف : 111.

(31) القصة القرآنية مفهوماً وأسلوباً، د. صابر مثيل، المجلة الجامعة، ع11، 2009م : 46- 47.

(32) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: 7/541-542.

(33) ينظر: الصوفية بين الدين والفلسفة، عبد الرحمن بن محمود نموس: 63.

(34) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : 7/547.

(35) فيض الخاطر: 7/ 44-45.

(36) النص القرآني من الجملة إلى العالم : 180.

(37) الفتح : 29.

(38) ينظر: فيض الخاطر: 8/43- 47.

(39) مريم : 3- 7 .

(40) فيض الخاطر: 10/ 136.

(41) الميزان في تفسير القرآن : 14/ 28.

(42) الحبك النصّي وعلاقته بالنصّ القرآني (دراسة نظرية في ضوء التراث النقدي والبلاغي)، د. محمد بشير ود. محمد فيصل، مجلة علمية محكمة البصيرة، مج8، ع1، د.ت : 22.

(43) الأصول دراسة إبستيمولوجيّة للفكر اللغوي عند العرب ، د. تمام حسّان: 18.

(44) فيض الخاطر: 10/ 136- 137.

(45) فيض الخاطر: 6/264- 265.

(46) الفن القصصي في القرآن الكريم ، محمد أحمد خلف الله: 176.

(47) ص : 21-25.

(48) الميزان في تفسير القرآن : 17/202.

(49) ينظر : م. ن : 17/193-194. وينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : 11/386- 387.

(50) فيض الخاطر: 6/265.

(51) م. ن : 6/266.

(52) الاتساع النصّي في القصص القرآني بين الاستباق والاسترجاع(دراسة تفسيرية)، صفاء عبد الرزاق الحمداني: 145-146.

(53) هود : 87.

(54) فيض الخاطر : 9/ 36- 37 .

(55) هود: 84-88.

(56) ينظر: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : 6/143- 145.

(57) ينظر: القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، د. صالح الخالدي: 2/8.

(58) الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل : 6/145-146.

(59) النص المفتوح في النقد العربي القديم الحديث، عزيز حسين علي: 169.

المصادر والمراجع:

***القرآن الكريم.**

- الاتساع النصّي في القصص القرآني بين الاستباق والاسترجاع (دراسة تفسيرية)، صفاء عبد الرزاق الحمداني، مركز عين الدراسات والبحوث المعاصرة، د.م، ط1، 2018م.
- الأصول دراسة إبستيمولوجيّة للفكر اللغوي عند العرب، د. تمام حسّان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2000م.
- الإعجاز القصصي في القرآن، د. سعيد عطيّة مطاوع، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2006م.
- الأعلام ، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، لبنان-بيروت، ط15، 2002م.
- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، مطبعة سليمان زادهه، نشر مدرسة الإمام علي بن أبي طالب، إيران-قم، ط1، 1426ه.

- تجديد الفكر الديني في الإسلام، محمد إقبال، تر: محمد يوسف عدس، تقديم: الشيماء الدمرداش العقالي، دار الكتاب المصري- القاهرة، ودار الكتاب اللبناني- بيروت، ط1، 2011م.
- التصوير الفني في القرآن، السيد قطب، دار الشروق، مصر- القاهرة، ط16، 2002م.
- تفكير أحمد أمين من خلال(فيض الخاطر)، عمر الإمام، إشراف: منجي الشملي، (رسالة ماجستير)، جامعة تونس للآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب، 1989م.
- الحبك النصّي وعلاقته بالنصّ القرآني (دراسة نظرية في ضوء التراث النقدي والبلاغي)، د. محمد بشير ود. محمد فيصل، مجلة علمية محكمة البصيرة، مج8، ع1، د.ت .
- حياتي، أحمد أمين، دار العالم العربي، القاهرة، ط3، 2017م.
- شعرية النص الروائي(قراءة تناصية في كتاب التجليات)، بشير القمري، البيادر للنشر والتوزيع، ط1، 1991م.
- الصوفية بين الدين والفلسفة، عبد الرحمن بن محمود نموس، دار القدس للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2008م.
- علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، تون أ. فان دايك، تر: د. سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، مصر، ط1، 2001م.
- فعل القراءة (نظرية جمالية التجاوب في الأدب)، فولفغانغ إيزر، تر: د.حميد لحمداني ود. الجلالي الكدية، منشورات مكتبة المناهل، فاس-المغرب، ط1، 1994م.
- الفن القصصي في القرآن الكريم ، محمد أحمد خلف الله، د. د، د.م، ط1، 1951م.
- فيض الخاطر، أحمد أمين، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط1، 1940م .
- قاموس الأدب العربي الحديث، د.حمدي السكوت، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط1، 2015م.
- القصة القرآنية مفهوماً وأسلوباً، د. صابر مثيل، المجلة الجامعة، ع11، 2009م.
- القصص القرآني عرض وقائع وتحليل أحداث، د. صالح الخالدي، دار القلم- دمشق، ودار الشامية- بيروت، ط1، 1998م.
- القصص القرآني في منطوقه ومفهومه (مع دراسة تطبيقية لقصتي آدم، ويوسف)، عبد الكريم الخطيب، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، ط2، 1975م.
- موسوعة أعلام العرب المبدعين في القرن العشرين، د. خليل أحمد خليل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، لبنان، ط1، 2001م.
- الميزان في تفسير القرآن ، للعلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، لبنان-بيروت، ط1، 1997م.
- النص القرآني من الجملة إلى العالم، وليد منير، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، القاهرة، ط1، 1997م.
- النص المفتوح في النقد العربي القديم الحديث، عزيز حسين علي الموسوي، الدار المنهجية للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 2015م.